مذكرات أندلسية

بقلم نزار قباني

في اسبانيا .. لم أحتجْ الى دواة ..
ولا الى حبر .. أسقي به عطش الورق ..
عيون مورينا روساليا ..
ترشّني بالشوق الاسود
عيون مورينا روساليا ..
دواةٌ سوداء ..
أغطّ فيها .. ولا أسألْ ..
وتشرب حياتي .. ولا تسألْ ..
كصَدَفةٍ بحرية .. هائلة ..
كهودجٍ عربي .. يحفر مصيره في الأبعاد ..
يحفر مصيره .. في مصيري ..

مدريد ٥٥/٨/٥

***

شَعر ميراندا آلافيدرا الكثيف ..
المتنفّس كغابة أفريقية ..
أطول حكاية شوق .. سمعتها في حياتي ..
ما اكثر حكايا الشوق التي سمعتها في حياتي ..
واكلت حياتي !..

اشبيلية ٥٥/٨/٨

***

الراقصة الاسبانية .
تقول باصابعها كل شيء ...
والرقص الاسباني هو الرقص الوحيد الذى يستحيل فيه
الاصبع الى فم ..
النداء الساخن ..
والمواعيد العطشى ..
والرضى .. والغضب .. والتمني .. والحنين ..
كل هذا يقال .. بشهقة اصبع .. بنقرة إصبع ..
أنا في محلي ..
وسمفونية الاصابع .. هناك .. تحصدني ..
تشيلني ..
تحطّني ..
على تنّورة اندلسية .. سرقت زهر الاندلس كله .. ولم
تسأل ..
وسرقت نهار عيوني ولم تسأل ..
انا في محلي ..
والكأس العشرون في محلها ..
وسمفونية الاصابع .. في أوج مدها وجزرها ..
والمطر الاسود .. المتساقط من فتحات العيون الواسعة ..
شيء : لا يعرفه تاريخ المطر ..
لا تذكره ذاكرة المطر ..
انا في محلي ..
فيا مطر الاعين السود .. سألتك لا تنقطع .

غرناطة (مغائر مونت ساكرو الغجرية) ٥٥/٨/١٠

***

ما تمنيت ان اكون عروة في رداء ..
خيطاً في رداء ..
الا في المتحف الحربي في مدريد ..
الرداء .. لأبي عبدالله الصغير .. والسيف سيفه ..
السائحون الاجانب لا يستوقفهم الرداء ولا السيف .
اما انا ..
فيربطني بالرداء .. وبصاحب الرداء الف سبب ..
هل تعرفون كيف يقف الطفل اليتيم .. امام ثياب ابيه
الراحل ؟.
هكذا وقفت امام الجام الزجاجي المغلق .
استجدي الزركشات ..
آكل بخيالي النسيج .. خيطاً .. خيطا ..
ومع هذا ..

— التتمة على الصفحة التالية —

لم يتركني ابو عبدالله الصغير وحدي في المدينة ..
كان كل ليلة ..
يلبس رداءه.. ويترك جامه الزجاجي في المتحف الحربي..
ليمشي معي .. في بولفار الكاستيانا في مدريد ..
ليدلني ..
على وريثاته الاندلسيات .. واحدة .. واحدة ..
« هل تعرف هذه ؟ .. »
« .. لا .. »
« .. هذه كان اسمها نوار بنت عمار . وكان ابوها عمار بن الاحنف رجلاً ذا فضل ويسار . وكانت نوار هذه تـــدرج كالقطاة بيننا وتنهض كالنخلة المستقيمة بين لداتها في الحي ..»
« لماذا .. لا نناديها يا ابا عبد الله ؟ »
« لا تتعب نفسك .. انها لا تعرف اسمها ..
« ماذا ؟»
« انها لا تعرف اسمها .. »
« وهل ينسى احد اسمه ؟»
« نعم .. هذا يحدث في التاريخ .. ان اسمها الآن اصبح NORA AL - AMARO بدلاً من نوار بنت عمار ..
« يا NORA ..
« ماذا تريدان ؟..
« لا شيء .. كل ما في الامر ان هذا الرجل كان صديقاً لابيك في دمشق وهو يرغب في تحيتك ..
« صديقاً .. لأبي في دمشق ؟ ..
« نعم أنت لا تذكرين ذلك .. لأنك كنت يومئـــذ طفلة ..
« ربما ! ..
« عمي مساء ..
« BUENAS NOCHES

قرطبة ٥٥/٨/١٢

***

القرط الطويل في أذن آنا ليزا دونالیا . دمعة تركـــت الأذن منذ قرون .. ولم تصل الى مرفأ الكتف .. بعد ..
هذا القرط الطويل .. وكل قرط طويـل .. في أذن كل سيدة اسبانية .. محاولة مستميتة .. للوصول الى مقلع الضـوء على الكتفين ..
يا قرط آنا ليزا دونالیا .. لا وصلتَ ابداً الى مشتهاك .. ولا انتهت رحلتك .. أن تعيش بوهم الكتف .. خير الـف مرة من ان تدفن طموحك في رخامه ..
يا قرط آنا ليزا دونالیا ..
يا جوع الضوء الى الضوء ..
قلبي معك ..

اشبيلية ٥٥/٨/١٥

***

في ازقة قرطبة الضيقة ..
مددت يدي الى جيبي اكثر من مرة .
لاخرج مفتاح بيتنا في دمشق ...
مقابض الأبواب النحاسية ..
احواض الشمشير .. والليلك .. والقرطاسيا ..
الحرة الوسطى .. عين الدار الزرقاء ..
الياسمين الزاحف على اكتاف المخادع ..
وعلى اكتافنا ..
الفوارة .. طفلة البيت المدللة التي لا تنشف لها حنجرة ..
والقاعات .. اواني الرطوبة ومخبؤها ..
كل هذه الدنيا المطيبة .. التي حضنت طفولتي في دمشق.. وجدتها هنا ..
فيا سيدتي المتكئة على خصاص نافذتها الخشبية ..
لا تُراعي ..
اذا غسلت يدي في بحرتك الصغيرة ..
وقطعت واحدة من ياسميناتك ..
ثم ..صعدت الدرج .. الى حجرة صغيرة ..
حجرة شمالية ... .
تتسلق شبابيكها الشمس . ولا تسأل ..
ويتسلق أستارها الليلك .. ولا يسأل ..
حجرة شمالية ..
كانت أمي تنصب فيها سريري ..

قرطبة

نزار قباني